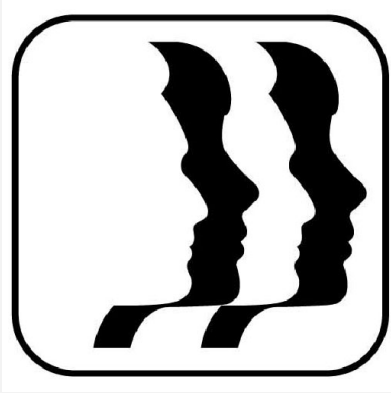


الثلاثاء 05-10-2010

1130 - دراسة في علم السيكيوباتولوجى النفس:

منشورات

جمعية الطب النفسى التطورى،
والعمل الجماعى



دراسة في علم السيكيوباتولوجى

(شرح: ديوان سر اللعبة)

الطبعة الثانية

2010

أ.د. يحيى الرخاوى

أستاذ الطب النفسى - جامعة القاهرة

* * * *

إهداء الطبعة الأولى

"إلى الإمام الشافعى القائل: مثل الذى يطلب العلم

جزافا كمثّل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها،
ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري"

إهداء الطبعة الثانية

- "ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع".
- "من تعلم علما فليدقق؛ لئلا يضيع دقيق العلم".
- "إن للعقل حدا ينتهي إليه، كما أن للبصر حداً ينتهي إليه"

• "...أسمع بالحرف منه مما لم أسمع، فتودّ أعضائي أن لها
أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت الأذنان" !

• "إن الله خلقك حراً، فكن كما خلقك. "

[من أقوال الإمام الشافعي،]

(برغم تصنيفه سلفياً أصولياً من المرحوم نصر أبو زيد!!)

الاهداء :

إلى كل إمام شافعي يلتزم بأقواله تلك،

كلُّ في مجاله!!

* * * *

مقدمة الطبعة الأولى

ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية لديواني سر اللعبة أن
"... تعلمت منها (الطبعة الأولى) الكثير، ومن بين ذلك أن
بعض الدارسين قد اعتبرها مرجعاً أعانه في إبداء رأيه أو
إثبات رأيه، وكذلك أن تيقنت من غلبة طبيعتها- وفائدتها-
العلمية، قبل وبعد شكلها الفني" إلى أن قلت "...لكني في
النهاية اخترت قسمة عادلة وهي أن أنشر المتن وحده... ثم
أنشره مع الشرح لمن شاء من أهل العلم وعمى المعرفة في مرحلة
تالية".

وهأنذا أفى بوعدى، مؤكداً للمرة الثالثة أن موقفي هذه
الأيام يتحدد أكثر فأكثر في أن أرجح الحديث باللغة العلمية
على ماسواه، وذلك لاعتبارات تتعلق بنموى الشخصى، وكذلك
لتبريرات تتعلق برؤية أولويات احتياج وطنى وناسى، وأخيراً
لاعتبارات محدودة عمرى بالنسبة للموقف اللازم لتدوين
وإبلاغ ما رأيت وعرفت في مجال علمى قبل أن أرحل.

كنت أتمنى أن يصدر هذا العمل ومعه مراجعة تفصيلية
للأعمال السابقة والموازية له سواء بالموافقة أو المعارضة،
وأن يدعم، كما هو المؤلف، بالإشارة إلى هذه البراهين
والمعارضات اللازمة للحديث بلغة العلم هذه الأيام، وهذا

ما يمكن أن أصعب التوثيق . كما كنت أتمنى أن تصحب هذه الدراسة عينات إكلينيكية مباشرة تدعم وتحقق ما جاء بها من أفكار وفروض وهذه مرحلة التحقيق، وقد كلفت فعلا بعض تلاميذي بالبدء في المهمتين حتى يصدر العمل متكاملًا، وذلك بعد أن أعفيت نفسي، بناءً عن اقتناع مؤكد، واستجابة لنصيحة صادقة، من أن أقوم أنا بهذه المهمة، حتى لأعوق انطلاق أفكارى بعد أن تخطيت مرحلة التردد، فلم أعد محتاجاً أن أقف موقف المدافع ابتداءً .

وما أن أهيئت مهمتى الأولى حتى وجدتهم مازالوا بين متردد ومؤجل وخائف، وزاد إلحاح طلبتي الأصغر في صدور الشرح كما هو، وهأنذا أستجيب لهم غير هيباب، إلا أني أهمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذي بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التي أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

وقد التزمت أن تكون هذه الدراسة - أساساً - شرحاً للنص الشعري، ولذلك فهي قاصرة على ما ورد من أعراض وأمراض، أو شرح خطوات التقدم أو التعثر في مسيرة نمو الإنسان، وإن كان ذلك لم يمنع أن أعرج، كلما لزم الأمر، إلى تقديم مناسب لكل مرض تعرضت له، أو إلى استدراك لازم لأصول الظاهرة التي أفسر بها هذا المرض أو ذاك، وقد لاحظت أحياناً كثرة مثل هذا الاستدراك حتى هممت بمجذفه إلا أن طبيعة الدراسة وإصرارى على تسجيل ما أراه أمانة لاهرب منها، دفعنى إلى أن أترك كل المادة كما هي للدارسين والباحثين الآن، أو على الأرجح مستقبلاً، ولم استشهد أو أشّر إلى بعض ما سبق من آراء، إلا بالقدر الذى يضطرنى إليه السياق فحسب.

خلاصة القول أن هذه الدراسة ليست مرجعاً شاملاً مجال من الاحوال، ولكنها عينة خاصة تؤكد أبعاداً محددة، في مجال علمي هذا من أهمها طبيعة هذا العلم، وبعض وسائل دراسته، وضرورة معايشة مادته: الإنسان - ذاتاً وآخرين-، قبل الخوض في الإفتاء فيه .

أما بالنسبة لتفضيلي كتابة هذا العلم بلغتي الأصلية، فإنني قد أعلنت أسبابه منذ حين، حيث أني أدركت يقيناً أن أي عمل إبداعي أصيل، وخاصة فيما يتعلق بمهية الإنسان، لا يمكن أن يجرى منسباً متناسقاً إلا بلغة الأم، حيث تمثل اللغة في ارتباطها بجذور تكوين العقل البشرى أساساً جوهرية يحدد طبيعة التفكير وخاصة في مجالنا هذا، ولكني سوف ألتزم كضرورة مرحلية أن أترجم إلى الإنجليزية ما ينبغي من تعاريف ومصطلحات كلما أمكن ذلك، أو لزم ذلك. إما في النص، أو في الهوامش، كما سأقوم بترجمة الخلاصة والتعليق جميعاً وقد أضفتها ابتداءً من الفصل الرابع حين بدأ الحديث عن أنواع المرض النفسى نوعاً نوعاً، ولعل في ذلك ما يعين الدارس المبتدئ، ويطمئن ذا التكوين العقلي المترجم .

يحيى الرخاوي

المقطم 12 أكتوبر 1979

مقدمة الطبعة الثانية



بعد أن انتهيت - هنا في هذه النشرة اليومية كل أربعاء - من شرح ديوان أغوار النفس باعتباره دليلاً متواضعاً لفقه العلاقات البشرية، وتطبيقات ذلك في العلاج عامة، والعلاج النفسي خاصة، وكان الدافع إلى ذلك هو توظيف الحدس الشعري لشرح أغوار النفس، وخاصة فيما يتعلق بالطب النفسي والتطبيب، انتهت إلى العنوان الأصلي أنه "دراسة في علم السيكدائولوجي، الجزء الثاني" قلت، كما قالوا لي أيضاً: فماذا عن الجزء الأول؟ شرح ديوان سر اللعبة، وهو الأصل؟

رجعت إلى هذا الجزء الأول، فوجدت عهداً ملزماً أوردته حالاً في اثباتي مقدمة الطبعة الأولى وهو ما يحتاج أن أكرره هنا بحروفه:

"..... إلا أني أحمل أمانة إكمال هذه الدراسة بالتوثيق والتحقيق لكل تلاميذي بلا استثناء، بل لكل من وصلته الرسالة التي أردت إبلاغها من خلال هذا العمل.

ويبدو أنه قد الأوان للوفاء بالوعد:

تاريخ نشر الطبعة الأولى هو سنة 1979!!!، ولا بد أنه كتب قبل ذلك بعام أو أكثر، إذن فقد مضى ربع قرن من الزمان، مما يعلن بدهاءة أنه - ما دام علماً!! وبخاصة ما كان يُعَدُّ بتطبيق عملي- يحتاج إلى تحديث ومراجعة ونقد وإعادة تشكيل؟ مسابرة لما يجري عبر العالم، ولما جرى فينا وحولنا وبناء، فوجبت هذه الطبعة الجديدة هكذا.

كنت أحسب أنني سجلت ظروف كتابة الطبعة الأولى في مقدمة تلك الطبعة، إلا أنني اكتشفت حالاً أنني لم أُنَبِّئها إلا في مناسبات أخرى منها نشرة "الإنسان والتطور"، مع أنها تحتاج إلى إثبات. ذلك لأنها تؤكد كيف أن مواصلة العمل الفعال مع الحفاظ على التوجه الصحيح، يمكن أن ينتج عنه أروع مما كنا نحسب، وأحياناً - أو كثيراً- غير ما كنا نحسب من إضافات

نوعية، وفروض تتجلى أثناء الفعل، وهذا يثبت منهجا غريبا أفرح به بقدر ما أحذر منه: وكثيرا ما أضطر نفسي إليه اضطرارا بأن أوصل عملا ما، أعتقد أنه ضروري، وخاصة إذا ما وقع في خانة ما أسميه "حمل الأمانة إلى أهلها"، أوصله بشكل "روتيني" لحوح، بعد التخطيط العام، وتحديد توجه الهدف الواضح، ولكن دون تفاصيل عن الشكل أو المحتوى، فينتج عن هذه الممارسة شيء أكبر بكثير مما كنت أتوقع، وحين يكتمل، يبدو وكأنه كان كذلك منذ البداية.

هذا هو ما حدث بالنسبة للنشرة اليومية "الإنسان والتطور" وقد دخلت عامها الرابع، وهو هو ما حدث - مع اختلاف الإمكانات والأدوات، وكان سببا مباشرا في ظهور الطبعة الأولى من هذا العمل.

فكيف كان ذلك؟؟

كنت مسئولاً عن اللجنة العلمية للمؤتمر العربي الأول للطب النفسي، وهو الذي عقد في القاهرة في ديسمبر 1978، وكان لزاما علي أن اعد الكتيب الذي يحوى موجزا للأوراق والأبحاث التي سوف تلقى في هذا المؤتمر، وقد وردت متأخرة - كعادتنا - وبدا أنه من قبيل المستحيل أن أنجز المهمة مهما بذلنا من جهد، وذللتنا من صعاب، في تلك الأيام لم تكن هناك هذه التسهيلات الحاسوبية، أو آليات الطباعة الإلكترونية الحالية، كنا نطبع إما بجمع الحروف باليد، وإما بالليدوتيب إذا تيسر الحال، المهم لم أوفق للاتفاق مع أى مطبعة لإنجاز المهمة في الزمن المحدد، قبلت التجدي، وغامرت بالاتفاق مع عامل بسيط (اسمه "فكرى" على ما أذكر) في مطبعة متواضعة أن أشتري له صندوق حروف، وأن يأخذ إجازة من المطبعة بعد أن استأذنت صاحبها، وأن يقيم عندي في حجرة بالجراج، وأن يواصل جمع دليل المؤتمر ليل نهار ثم نرى، وتمت المهمة بالتوفيق، وانتهى المؤتمر على خير.

وحين حاول "فكرى" الرجوع إلى عمله الأصلي حالت ظروف صاحب العمل دون ذلك، وشعرت بالمسؤولية دون ندم، سألتى فكرى إن كان عندي ما ينشغل به ويشغله حتى يجد عملا في مطبعة أخرى، وفي نفس الوقت أستفيد من صندوق الحروف الذى اشتريته، ولم يكن عندي شيء جاهز فعلا، ففكرت أن أنتهزها فرصة، وأقوم بشرح متن هذا الديوان "سر اللعبة"، وبذلك أوفى بتعهدي (للمرحوم) صلاح عبد الصبور أثناء مناقشته للديوان معى في البرنامج الثانى في الإذاعة المصرية، وذلك حين مدحه بكرم وسماح، وهو يصر على أنه شعر فخ، وأنه يستحيل أن يكون سردا لمراحل المرض النفسى من عمق معين كما قلت له أثناء الحوار. سألت "فكرى": كم يلزمك لتشغل ساعات عملك اليومى وتحصل على نفس أجرك المعتاد حتى تجد عملا؟ وقال لى إنه يحتاج إلى ستة عشرة ورقة فولسكاب بخط اليد تقريبا، ووعده بأن أعطيه كل ليلة ما يكفى عمله في اليوم التالى، فخرجت الطبعة الأولى.

يبدو أن نفس الحكاية (السكريبت) تكرر بالنسبة لهذه الطبعة الثانية، بعد إحلال نشرة الإنسان والتطور محل الابن "فكرى" جامع الجروف

وبعد

بدأت تجربة التحديث اليوم تمهيدا لمواصلة إصدار الطبعة الثانية، فخطر لي تنظيما وتبويبا واقتراحات شعرت معها أنني أحتاج إلى آراء ونقد الأصدقاء والزلاء، قبل أن أوصل المشروع.

وفيما يلي بعض ذلك:

أولا: تصورت أنه من الممكن أن أعفى نفسى - بعد ربع قرن - من الالتزام بأسلوب "الشرح على متن شعري"، وأجعل المتن في الهامش، مع الاحتفاظ بكل المعلومات الواردة وتحديثها، ولكنى عدلتُ إلا قليلا.

ثانيا: هممت أن أعيد ترتيب الموضوعات، وأن أبدأ بالفصام (مثلا)، باعتباره، حسب التنظير الذى ورد في هذا العمل (وفى كل فكرى) المرض الأخطر، أصل كل الأمراض النفسية باستثناء الأمراض التلفية العضوية، إلا أنني حين بحثت في حاسوبى، وفي هذه النشرة اليومية عن ما كتبه عن الفصام من تنظير وحالات، وشرائح (باور بوينتت PP) وجدتها تربو على ألفى صفحة، في حين أنها لا تشغل في هذا الكتاب المراد تحديثه إلا تسع وتسعين صفحة، فتبينت أن كل مرض من الأمراض قد يحتاج كتابا مستقلا له علاقة ما بما ورد في هذا العمل الخالى، وأنه أبدا لا يجوز أن يُختزل إلى ما جاء في هذا العمل، الذى أن ينقلب بهذا التعديل إلى مرجع تقليدى لا لزوم له.

ثالثا: عدت ففضلت أن ألتزم في هذه الطبعة الثانية بالنص الاصلى الذى صدر في الطبعة الأولى وأن أحجز له نشرتي الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع بصفة مبدئية.

رابعا: قررت أن أطرح الآن ما خطر لي من خطوط عريضة طليا للرأى والنقد والتعديل، ويمكن إيجاز بعض تلك التوجهات فيما يلي:

1. تصحيح ما يحتاج إلى تصحيح
2. إضافة ما وصلنى من الخبرة والاطلاع في هذه المدة التى ناهزت الربع قرن
3. فصل المتن الشعري في هوامش، كما أشرت سابقا.
4. إضافة استشهادات إكلينيكية من حالات بعينها
5. إضافة بعض الاحتمالات التطبيقية العملية
6. توضيح بعض الأجزاء برسوم تخطيطية، (برغم اعتراض أغلب من استشرتهم).

7. استمرار الإصرار (مع الاعتذار) على تجنب الاستشهاد المباشر - ما أمكن ذلك- بمراجع أجنبية مجرد حداثتها أو حبكتها .

8. زيادة الإحالة إلى المراجع الأحدث، اللازمة لدعم بعض الفروض والرؤى، أو المثيرة للنقد الموضوعي.

9. محاولة الربط مع منظومات المعارف الموازية الأخرى (في غير مجال الطب النفسي، والعلوم النفسية).

10. تنشيط الحوار مع ما يصلى من تعليقات واستفسارات أولاً بأول.

يحيى الرخاوي

الأحد 3 أكتوبر 2010

يا ثرى: ما رأيكم دام فضلكم؟

الذى حدث بعد كل هذه النوايا هو ما سوف نقرأه في نشرة الأربعاء غداً.

وأشهد الجميع بصدق القصد وحسن النية حتى الغد.

- لعل الفرق بين الطبعة الأولى والثانية ، هو الفرق بين إهداء كل منهما !

- Documentation

- Verification

- كنت أشرت إلى بعض ذلك في نشرة سابقة " الورطة "

- أول مرة أستعمل كلمة التلفية (تلف تلفاً: هلك وعطب، .. ويقال أتلّف .. أفنى..

- هذا ، ومن واقع خبرتي السابقة في هذه النشرة، فإنني على يقين من أن التعقيبات أولاً بأول، سوف تتيح الفرصة - قبل النشر الورقي، أو نشر الكتاب مجتمعاً- لتوضيح الغامض، وتفصيل المختصر، وتصحيح الخطأ، كما كان الحال مع معظم محتويات النشرة، وخاصة باب "التدريب عن بعد"، (الإشراف على العلاج النفسي).